

كلمة «زول»: من الجذر المعجمي إلى الهوية الثقافية

تنتمي كلمة «زول» إلى طائفة الألفاظ العربية التي ظلت تتسع دلالتها عبر الزمن، فتراكمت فيها معاني انتقلت بها من وصف الحركة إلى وصف الإنسان نفسه. يردّ ابن فارس المادة (ز و ل) إلى أصل واحد يدلّ على تنجّي الشيء عن مكانه، ومنه «الزوال»¹. ومن هذا المعنى الحسي، أي الحركة والانتقال، جاءت أقدم معاني «الزّول»: الخفيف الحركات، والظريف المتوقّد، والغلام الظريف، والفتى². ثم انتقلت الدلالة إلى صفات خُلُقِيّة ونفسية، فصار «الزول» هو الشجاع الذي يزول الناس من مكانهم لشدة بأسه، والداهية الحاذق، والكريم الجواد. ومن شواهد الكرم ما أنشده ابن السكّيت للمزّرد: «لقد أروحُ بالكرام الأزوال»³. وجاء من المادة أيضاً «الزّول» بمعنى العجب، وبمعنى الصقر، و«المزاولة» بمعنى معالجة الأمر، و«تزول» بمعنى تظرف². ولم تقتصر الكلمة على الرجال، فقد استعملت «الزّولة» للمرأة الظريفة الفطنة البزّة، واستشهد اللغويون على ذلك بقول الطّرمّاح: «وأدّت إليّ القولُ منهنّ زّولةً»⁴، كما وردت في رجز ربيعة بن العجّاج². ويجمع ما يورده ابن منظور في «لسان العرب» والزّبّيدي في «تاج العروس» من هذه المعاني أكثر من سبعة عشر معنى⁵، وهذا الاتساع يدلّ على قدرة العربية على توليد المعنى بالمجاز والاستعمال الاجتماعي من أصل حسي واحد. وفي العامية السودانية استقرّت الكلمة على معنى «الشخص» أو «الإنسان» عموماً. وهذا الاستعمال لا ينقطع عن الفصحى، بل يأتي امتداداً طبيعياً لمسار الكلمة، لأن المعاجم نفسها سجّلت «الزول» بمعنى الشخص على سبيل المجاز⁵. فإذا خاطب السوداني غيره بقوله «يا زول»، فهو يخاطبه بصفته إنساناً قبل أي انتماء آخر. وبقيت أصداء المعاني القديمة حيّة في الاستعمال الحديث، ومنها التعجّب في قولهم «يا زول!»⁶. وبذلك تكون «زول» شاهداً على حيوية العربية وقدرتها على استيعاب التجربة الإنسانية، ومثالاً على اللغة حين تحمل هوية جماعة كاملة وما تقدّره من لطف ومروءة وإنسانية.

الإحالات

1. ابن فارس، *مقاييس اللغة*، مادة (زول).
2. ابن منظور، *لسان العرب*، مادة (زول)؛ والفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، مادة (زول).
3. البيت للمزّرد بن ضرار، وأنشده ابن السكّيت. ويروى بعده: «من بين عمّ وابن عمّ أو خال».
4. الطّرمّاح بن حكيم، ويروى عجزه: «تُلاجنُ أو ترنو لقول المُلّاجن». يُراجَع ديوانه و*لسان العرب*، مادة (زول).
5. الزّبّيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مادة (ز و ل).
6. الشاهد من الاستعمال السوداني المعاصر.

محمد

تصحّيات على النص الأصلي

- بيت «لقد أروح بالكرام الأزوال»: نسبة نصّك الأصلي إلى ابن السكّيت، والمصادر تذكر أنه للمزّرد وأن ابن السكّيت أنشده فقط. لذلك كتبتُ: «ما أنشده ابن السكّيت للمزّرد».
- عدد المعاني: عدد «أكثر من سبعة عشر معنى» يُنسب في المصادر إلى «لسان العرب» أكثر مما يُنسب إلى «تاج العروس» وحده. لذلك نسبته إلى الكتّابين معاً.
- أرقام الأجزاء والصفحات: لم أضعها لأنها تختلف من طبعة إلى أخرى، ولم أتمكن من مراجعة نصّ المعاجم نفسه. راجعتُ نقولاً عنها في صفحتي «المعرفة» والمعجم الإلكتروني المذكورتين في المصادر. فقبل النشر الأكاديمي أضف الجزء والصفحة من الطبعة التي تعتمد عليها، وطابق روايات الأبيات عليها.

المصادر

- زول – المعرفة
- زول – المعجم العربي (Hawramani)